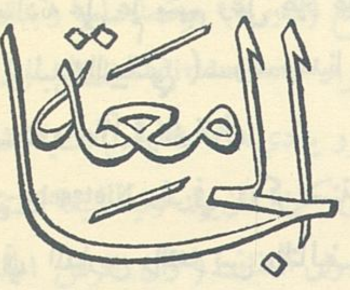
الجزء ٣ السنة السادسة



مجلة اجتماعية علمية تهذيبية تاريخية
تصدر في نيو يورك
وتنشر للشرق مدنية الغرب وللغرب مدنية الشرق

نيويورك نيسان — (ابريل) سنة ١٩٠٨ — ربيع ١ سنة ١٣٢٦

مشاهير المتقدمين والمتأخرين

الفيلسوف نييتش وفلسفته

فيلسوف لا يعرف اسمه قراء اللغة العربية ولكنهم رأوا آثار مبادئه وفلسفته في كل شيء حولهم في كل مكان

سلسلة مقالات نبسط فيها ترجمته وفلسفته

قلنا في الجزء الثاني الذي ظهر في اول فبراير (شباط) ما نصه „ نظن ان اسم الفيلسوف نييتش الالماني لم يرد في اللغة العربية قبل الصفحة التي لخصت فيها الجامعة شيئاً من فلسفته في السنة الماضية . على انه كان لهذا الفيلسوف تأثير عظيم في مجرى افكار البشر في الارض . وكثير من العلماء والكتّاب في

اميركا قد أثرت فيهم مبادئه على علم منهم وعلى غير علم واصبح نييتش عندهم اماماً لمبدإ جديد دعوه (المبدإ النييتشي) — وقد وعدنا في ذلك الفصل بترجمة هذا الفيلسوف وبسط فلسفته وانجازاً للوعد نقول

هو فردريك نييتش Nietzsche ولد في روكن سنة ١٨٤٤ ونشأ ضعيف الجسم . وقد قضى عمره في المدارس والتدريس والتأليف وأشهر تدريسه كان في كلية بال المشهورة حيث كان يدرّس علم تحليل اللغات والنقد الادبي من سنة ١٨٦٨ حتى سنة ١٨٧٨ . وكان يقرأ كتب شوبنهور وقَنْت أشهر الكتاب الالمانيين المشهورين فيجد في نفسه نفوراً من فلسفتهما فشرع في كتابة مقالات وتأليف كتب كان غرضه فيها بناء الحياة على اساس جديد

وليس الغرض في هذا الفصل ان نبسط فلسفة نييتش ومذهبه في الحياة لاننا سنعرب لقراء الجامعة فصولاً عديدة من آرائه واقواله فتظهر فيها فلسفته ومذهبه في الحياة والانسان وانما نكتفي هنا بالاشارة الى اساس فلسفته

﴿ اساس فلسفته الجديدة ﴾ لما قام نييتش كان جو اوروبا بل العالم أجمع مشبعاً بالمبادئ القديمة الازلية التي محصّلها التوكل واحتمال شقاء الحياة اذ لا سبيل لدفعه واعتبار ان الشر ملازم للبشر في الارض والرحمة وحب القريب والشفقة والمساواة . وكان فيكتور هيغو بوق اوروبا الصارخ صراخاً يسترعي اذان جميع المتأدبين في جميع البلدان ينشر كلامه في الجهات الاربع ويقول بلسان (كفروش) في روايته الميزار بل — : الرحمة فوق العدل . ورنان في قمة جبله الشامخ يصيح في كتابه (اصول المسيحية) : ,, ان الانسان حيوان ديّن وكلما ارتقى زادت فيه (العاطفة الدينية) واذا عثرنا في الاجرام السماوية على اناس أرقى منا فعاطفتهم الدينية تكون ارقي من عاطفتنا '' . وسبنسر في هيكله المادي الفخيم كأنه إمام دين جديد عظيم يبني قصر السسيولوجيا على آثار استاذه اوغست

كونت الفرنسوي ويضع (الغيرية) موضعاً سامياً وبذلك خفف من وحشية مبدإ تنازع البقاء والاستفراد Individualisme المطلق وصبغ مذهبه القاسي الجاف بصبغة ذهبية . وشو بنهور ينادي نداء متألم من الدنيا وشؤونها ان الالم والشر ملازمان للبشر فيها لان كل انسان يولد وفيه طبيعة مستقرة لا تتغير — ان خيراً فخير وان شراً فشر — وان العفاف (وان انقرض الجنس البشري) وقهر البدن لتتسلط عليه النفس بدل ان يتسلط عليها هما السبيلان المؤديان الى الخير وصلاح البشر وتهدئة عواصف العواطف والشهوات — بينما هذه العقول والنفوس الكبيرة آخذة في بناء اساس الهيئة الاجتماعية وهي تظن انها بلغت منتهى العلم والفكر وان لا جديد بعد مبادئها هذه واذا بنييتش يقوم عليها قومة شديدة وسننشر ردوده عليها في ما يلي

اما اساس مبادىء نييتش الجديدة فهو هذا

لقد بنى فلسفته على (حب الحياة حباً حماسياً والاستعداد لها) وهذا مناقض لتعليم متقدميه من الحكماء والفلاسفة من سقراط فنازلاً الذين كانوا يقولون ان الحياة همٌّ وتعب وانّ طلب السعادة فيها باطل وعبث . ولذلك يسمي اهل الاديان الارض (وادي الشقاء) وقد رأيتَ مذهب شو بنهور الذي تقدمت الاشارة اليه آنفاً . ومع تسليم نييتش بكثير من مقدّمات شو بنهور اعمل فكرته في استخراج نتيجة منها غير النتيجة التي استخرجها شو بنهور أي (الرغبة في الحياة) بدل نتيجة شو بنهور التي هي (الرغبة عن الحياة) . فوجّه نظره اولاً الى (الفنون) فقال ان الكون انما هو مظهر من مظاهر الفن وان (الارادة) تقدر على التملص من آلامها وتتحرر منها بتأملاتها في جمال الفن واستغراقها فيه . يعني ان الفنون ترفعها وتطهرها وتقويها . وقد قسم الفن الى (ديونيزي) وهو الموسيقى والى (ابوليني) وهو فن النقش والقصص والمباحثات

ثم لم يكتفِ بهذا المذهب فضمّ (المعرفة) الى (الفن) وذلك لرغبته في التخلص من شرّ الحياة لا (بوهم يُتَوَهّم) بل بعلم مبني على قاعدة . ولكن وقوفه في هذه المرحلة لم يطل فبلغ المرحلة الاخيرة من فلسفته التي كملت في كتابه المشهور (هكذا تكلم زاراتوستره) الذي هو انفس كتبه . وخلاصة مبادئه التي أكملت في هذا الكتاب وغيره من الكتب (كالمسيح الدجال . وما وراء الخير والشر . ونسب الادب) ان الانسان لا يتخلّص من الشر والاعتقاد بان كل شي في الوجود صائر اليه — الا (بقوة الارادة وإلغاء الغرائز وتنظيمها بدل محاربتها) . فعليه ان يغالب نفسه ويقهرها بعزيمة الابطال لا لاضعاف (حماستها ونشاطها) ولا لاضعاف بدنه وقهر غرائزه بل لاثارة (حماستهما ونشاطهما) وبهذا القهر (لاثارة النشاط في النفس والجسد) يتحوّل الانسان من كائن ضعيف متردد مستسلم الى اهوائه وعواطفه كما هو اليوم الى انسان صلب الارادة شديد العزيمة أي يصير (فوق الانسان) كما قال . (فالنشاط) Energie هو عنده اس الآداب والقوة دعامتها . ولكن ليس يعني بالآداب الآداب المتبعة اليوم بل آدابه التي يقول بها وستظهر في خلال كلامه الذي سننشره . ومحصّل مذهبه هذا نقضه وجوب المساواة بين البشر لانهم خُلقوا في رأيه و بينهم الرفيع والوضيع والخامل والنشيط فهو في هذا ارستوقراسي النزعة . والمبادئ المسيحية وجميع مبادئ الحكماء في الزهد والشفقة ومحبة القريب والسواء بين البشر والعناية بالشعب هي ومبادئه هذه على طرفي نقيض

﴿ اختلال عقله وموته ﴾ وقد عمّر نييتش ٥٦ عاماً لانه توفي في ويار سنة ١٩٠٠ . وقبل وفاته باثنتي عشرة سنة أُصيب باختلال عقلي فعاش بقية عمره مصاباً بهذا الاختلال وتوفي به . ومما كتبه قبل هذا الاختلال قوله ,, انني اكتب لا الفاظاً بل بروقاً '' ,, واحسُّ انني احترق بنار الفكر الذي اكتبه '' فلا ريب في ان القوة والنشاط في نفسه قد صرعا عقله واورداه موارد الهلكة

ومما يحسن ذكره ان نيبتش عاش عيشاً في منتهى السذاجة والتقشف وقد ورث ذلك عن أجداده وآبائه الذين نشأوا في التقشف المسيحي والقناعة والرضى

تلخيص فلسفة نيبتش

نعرب في هذه الفصول المتتابعة نفس اقوال نيبتش وآرائه في المسائل العظمى التي طرقها في كتبه

اما الآن وقد أتينا على طرف من ترجمة نيبتش فبقي ان نشرع في بسط فلسفته أخذاً عن كتبه التي كتبها وكان لها دوي بعيد بين المفكرين والمتأدبين في جميع اقطار العالم المتمدن • ونجعل كلامه فقرات كما جعله هو نفسه ونلخصه تلخيصاً • قال

نيبتش يُسقط سقراط والحكمة اليونانية (١) ـــ ,,ان جميع الحكماء حكموا على الحياة حكماً واحداً وهو (انها باطل ولا قيمة لها) وهي كلمة ملؤها الشك والسوداء والملل من الحياة والمقاومة لها • وقد قال سقراط قبل موته (الحياة مرض • فما دام الانسان حياً يبقى مريضاً • عليَّ نذر ديك للاله اسكولاب الذي انقذني) ولكن على أي شيء يدلُّ هذا الكلام ؟ يدل على ان سقراط قد ملَّ الحياة • واذا كان هنا مرض فالمريض سقراط نفسه • هذا جوابنا • فانه يجب ان ننظر عن كثب الى هؤلاء الذين يدعونهم أشهر الحكماء في الارض • فربما وجدنا انهم ضعفاء لا يستطيعون الوقوف على اقدامهم • ربما وجدناهم (دعاة الانحطاط) لا (دعاة الارتقاء)

,,ان فكرة اعتبار اكابر الحكماء كسقراط وافلاطون (مثالاً للانحطاط)

---

(١) بعض الحكمة اليونانية والفلسفة اليونانية اساس مبادىء البشر اليوم في العقل ـ والفضيلة ـ والسعادة

,,فكرة قويت لديّ لاسباب سابسطها • فكيف ذلك؟ ألم يكن اولئك الحكماء العظماء الا قوماً منحطين • ألم يكونوا حكماء -

,,ان اصل سقراط وضيع وكان من عامة الشعب • وكلنا يعلم انه كان قبيح الوجه لان قبحه مشهور • والقبح هو احياناً دليل على (تحوّلٍ) مضطرب في الجسم لعوائق تعوق تركيب صاحبه • فهو تحوّل انحطاط الى اسفل • و يقول الانثرو بولوجيون الذين ينظرون في شوءون المجرمين ان المجرم الذي هو (مجرم حقيقي) (ومثالــ للمجرمين الحقيقيين انما يكون قبيح الوجه • ومما يوافق هذا ان احد الغرباء العارفين بالاخلاق مرّ يوماً في آثينا واذ نظر سقراط قال له : انك وحش يكنّ في نفسه جميع الشهوات والرذائل • فاجاب سقراط ,, لقد عرفتني يا سيد'' (١) فسقراط قد اعترف باختلال كيانه • على ان الفوضى التي كانت في غرائزه ليست وحدها بدليل على (انحطاطه) • فان مبالغته في الجدل المنطقي واضطرابات سمعه اضطراباً دعوه (شيطان سقراط) ثم اوّلوه تأويلاً دينياً هي ادلة عليه ايضاً • وكان ينظر بمبالغةٍ الى كل شيءٍ وكل شيء كان عنده خفياً ذا مغامز • وبقيام سقراط خرج الجدل المنطقي عند اليونان عن اصوله • فانه كان عبارة عن تغلب الشعب لان الشعب يتوصل بالمنطق الى تلك الغلبة • والمغلوب كان (سلامة الذوق الممتاز) أي الامتياز (٢) • وكان خاصة اليونان قبل سقراط ينبذون اساليب الجدل المنطقي و يستقبحونها و ينفرون الشبيبة منها • فان الانسان لا يستعمل اساليب المنطق لاقناع غيره الا اذا لم يكن لديه أدلة تثبت حقه • وهو لا يعمد الى المنطق الا لان حقه المزعوم خفيّ غير جلي فيحاول إجلاءه • ولذلك كان الاسرائيليون

---

(١) ويروي بعض المؤرخين ان سقراط اجابه انك غير مخطىء ولكن ارادتي تسلطت على نفسي وكبحت جماحها

«٢» الامتياز عند نيتش فضيلة لانه يُنكر المساواة كما تقدم

بارعين في اساليب الجدل المنطقي . وكذلك الاستاذ الثعلب بارع فيه . وحيثما ترى (للسلطة) سيادة واثراً وفي كل مكان (لا يتعقلون ولا يتمنطقون) بل يأمرون ويخضعون ترى القائل بالمنطق معدوداً من المشعوذين الذين يضحك الناس منهم . فسقراط كان من اولئك المشعوذين ولكنه قدر ان يجعل الناس يصدقونه ولا يضحكوا منه .

,, والمشهور في احاديث سقراط وتعاليمه تهكمه القارص . فهل كان ينتقم لنفسه بهذا التهكم من عظماء اثينا الذين كان يسحرهم بكلامه ؟ واذا كان هذا صحيحاً الا تكون اساليبه الجدلية عبارة عن (انتقام)

,, على ان السبب الاول الذي سحر به سقراط مواطنيه هو ايجاده (حرباً جديدة) ولذلك كان (اول محارب) في صف دوائر آثينا العليا . فان الانحطاط كان قد بدأ في كل شيء في اليونان الا انه كان خفياً وكان قدماء اليونان الاصيلون آخذون في الانقراض فادرك سقراط ان الجميع اصبحوا في حاجة اليه والى دوائه ومبادئه . وكانت الغرائز قد اصبحت فوضى في كل شيء وفي كل مكان والناس يكادون يقعون في الافراط والخطر عمومي . فقالوا ,, حيث ان الغرائز تريد جعل نفسها (ظالماً) فلنوجد (ظالماً) اقوى منها

فمنذ عهد سقراط وافلاطون وُضعت اسس هذه المبادىء (العقل — الفضيلة — السعادة) كما يفهمها الناس اليوم . وبما ان سقراط قد شفى نفسه بارادته من فوضى الغرائز كما قال فقد عمد الناس الى الاقتداء به وايجاد (نور) بازاء ظلمة تلك الغرائز وهذا النور هو (العقل) فعندهم انه يجب قبل كل أمر ان يكون الانسان متأنياً متعقلاً متقشفاً جلياً . وكل تسامح مع الغرائز عُدّ عندهم انحطاطاً

لقد خُدع الفلاسفة وعلماء الآداب بظنهم انهم يخرجون من الانحطاط بمحاربة الانحطاط . وما اختاروه لهذه الحرب وهذا الخروج انما هو الانحطاط بعينه . فانهم غيروا اللفظ ولكنهم لم يمحوا معناه . فمسألة سقراط كانت عبارة عن سوء تفاهم . وجميع الآداب الزمنية والدينية التي يراد بها الآن (ابلاغ الانسان الكمال)

انما هي سوء تفاهم . وما العقل الذي دعا اليه سقراط وحياة التقشف والرزانة ومحاربة الغرائز الا مرض جديد لا (عودة الى الفضيلة والسعادة) كما يُظن . فان اضطرار الانسان الى محاربة غرائزه انما هو اضطرار الى الانحطاط والشقاء لان (الغريزة والسعادة) صنوان لا يفترقان "

هذا ملخص ما كتبه نيتش عن سقراط وغرضه اقامة مبادئ ادبية جديدة غير المبادئ الادبية الحاضرة التي ينتهي اساسها الى سقراط وافلاطون . وسنأتي تباعاً على تتمة مبادئه فتظهر فيها آراؤه ظهوراً جليًا

كلام ابن الشرق في الغرب

﴿ وهو كلام من سمع ورأى ﴾

سلسلة مقالات « لصاحب الجامعة » يدرس فيها
شؤون المدنية الاميركية

﴿ مقدمة ﴾ ان الحكم في المدنيّة الاميركية وآثارها يتوقف على طبيعة الناظر فيها . فاذا كان هذا الناظر ممن ولدوا في اميركا او ممن لم يروا مدنيّة اخرى غيرها اعتقد ان اميركا امّ الدنيا في كل شيء وكل ما عداها لا شيء . واذا كان قد عاش في وسط مدنية راقية اخرى كالمدنية الاوروبية فيكون رأيه في المدنية الاميركية تابعاً لطبيعته ومذهبه في الامور . فاذا كان ممن نشأوا على المبادئ الايدياليستية و يفضلون (آثار العقل والنفس) على (آثار المادة) قال ان الاميركيين قوم حديثو النعمة كبيرو الدعوى مع انهم لا يزالون اطفالاً في

المدنية الحقيقية ٠ واذا كان ممن نشأوا على المبادئ الاوتيليتر (النفعيين) ويفضلون (آثار المادة) على (آثار العقل والنفس) قال ان المدنية الاميركية تقدَّمت المدنية الاوروبية بمراحل ٠ ويظهر هذا الخلاف في الحكم في رأي كل جماعة تسألهم عن اثر المدنية الاميركية في نفوسهم وآراء جميع الكتَّاب والسياح الذين يزورون اميركا ٠ ففي الاسبوع الذي صرفناه في البحر بين الهافر ونيويورك طالعنا اربعة كتب لاربعة من مجيدي الكتَّاب الفرنسويين زاروا اميركا منذ بضع سنين ورأينا أثر هذا الاختلاف في آرائهم قبل ان وضعنا قدمنا في القارة الاميركية ٠ فأحدهم يقول في مقدَّمة كتابه ما خلاصته (انني بعد ان عبرت البحر قادماً من بلاد الحركة والنشاط (اميركا) ووطئت قدماي ارض باريز ورأيتُ الناس فيها يخطرون في الشوارع بهدوء والمركبات تسير الهوينا تحمل اهل الترف والبطالة والناس يمشون الى اشغالهم مشية من لا شغل له وقابلت كل ذلك بحالة الامة الاميركية النشيطة ظننتُ نفسي وانا في باريز في سلطنة بزنطية في ابان شيخوختها وضعفها) وهو منتهى الثناء على اميركا ٠ والآخر يقول (انَّ الارتقاء الاميركي انما هو ارتقاء ظاهري ٠ وهو نتيجة مبالغتهم في إعلان قوتهم وآثارهم ٠ فانهم اذا راموا مثلاً جعل احد الجبال مصيفاً ملأوا الدنيا صراخاً في اعلاناتهم ان ذلك الجبل اجود جبال الدنيا هواء واعجبها مناظر ويتفننون في اعلان ذلك تفنناً يجتذب الناس اليه ٠ وهكذا في كل امورهم ٠ والجرائد الاوروبية تجاريهم فتتناقل اخبارهم وتعجب بها ٠ واذا قدمت فتاة اميركية الى باريز مثلاً وزارت متاحفها وقابلت ادباءها واهل الخبرة والعلم فيها حادثت كل واحد منهم في فنه وادبه حديث مطلع عليه فتدهشنا بجرأتها وواسع اطلاعها مع ان ما فعلته سهل لكل فتى وفتاة وهي انها راجعت قبل زيارتها في دائرة المعارف او الكتب المخصوصة التي تطلبها ما تريد معرفته لتظهر لمحدثها انها على علم بصناعته وفنه ٠ وانما كل ذلك

من قبيل البلف (Bluff) (١)ونتيجة (الاعلانات) ليس الا)

ومماقاله هذا المؤلف ايضاً، ان السبب في شهرة اميركا في خارج اميركا ان الكتّاب الذين كتبوا عنها انما كتبوا وهم تحت تأثير اصدقائهم ومستقبليهم من الاميركان. فان الكاتب الاوروبي المشهور لا يُعلن خبر قدومه الى نيويورك حتى يُسرع الى استقباله كتاب الاميركان وادباؤهم وسيداتهم فيحيطون به ويطوفون به في المجالس الخصوصية والعمومية ولا يُرونه من اميركا الا جوانبها اللامعة. وفضلاً عن ذلك فانه اذا عاد الى وطنه وكتب كتابه اجتنب فيه كل مايسوء اصدقاءه الاميركيين فلا يذكر عن اميركا ما يسوء. وهذا سبب شهرة اميركا في العظمة والكرامة

قلنا واذا شئت الآن الحكم بين الآراء التي تقدم بسطها لزمك ان تعود الى التفرقة والقسمة التي اشرنا اليها في مقدمة الكلام. فترى ان كل قائل منها انما قال بحسب طبيعته وفطرته والآراء التي نشأ عليها. ولكم كان هذا الامر سبب الخلاف والنزاع بين البشر وهم لا يدرون

على ان الناظر الى المدنية الاميركية نظراً عادلاً مجرداً يلزمه ان يتجرد برهة عن كل عاطفة مطبوعة او مصنوعة ويحكم عليها بحسب (العقل المجرد). فيرى حينئذ ان قياس اوروبا على اميركا او اميركا على اوروبا انما هو قياس مع الفارق. وبعبارة اخرى انه يلزم الناظر فيها ان يكون كما قال رنان — ذا قوة خصوصية تُدعى قوة التمييز والاستنتاج. فبقوة التمييز يُدرك حقيقة (القوة والجمال) في الشيء المنظور ويغوص فيه حتى الى اعمق اعماقه للقبض عليه.

---

(١) درجت لفظة (بلف) في جميع اللغات الاوروبية والاميركية ودخلت في اللغة العربية العامية في سوريا ومصر. ومعناها في الاصطلاح ايهام الخصم خصمه بامر ليس فيه توصلاً الى ذلك الامر او الى فائدة اخرى

و بقوة الاستنتاج يدرك درجته ومنزلته في منازل الرقى الحقيقي والمدنية الحقيقية . ولكن اذا لم يكن للناظر هاتان القوتان فانه يخبط خبط عشواء في اثار المدنيات والمبادىء في الارض فكثيراً ما عدّ الجمال دمامة والدمامة جمالاً والعلم جهلاً والجهل علماً والتأخر تقدماً والتقدم تأخراً وهلم جراً

فالحكم على المدنية الاميركية يقتضي هذا التجرد وهاتين القوتين . وكل قياس غير مقرون بهما قياس فاسد اذ للجمال ضروب شتى لا ضرب واحد في الارض فلا يصحّ القياس على ضرب واحد

مثال ذلك . اوقفْ اميركياً في مصر القاهرة امام جامع السلطان حسن الذي هو فخر الصناعة العربية القديمة واثرها الخالد او امام كنيسة نوتردام في باريز التي هي تحفة الصناعة المسيحية في العصور المتوسطة فانه قلما يُدرك ما فيها من اسرار الجمال والكمال وحلاوة الفن البالغ مبلغ الاتقان . وقلما تنفتح مغالق نفسه وينشرح صدره لدى تلك التحف التي يخيل للناظر اليها انها مصنوعة بيد الآلهة لا بيد الانسان . وذلك ليس لان الجمال كما قال ابن سيناء هو (في عين الرائي) بل لان للجمال ضروباً شتى كما تقدم و (عين الرائي) هنا لم تألف هذا الضرب من الجمال لتدركه . ولكن اوقف نفس ذلك الرائي في سفينة في نهر هدسن في ميناء نيويورك في الساعة السابعة مساءً وقد أُوقدت المصابيح الكهربائية في البنايات الشاهقة التى تبلغ طبقاتها ٢٠ او ٣٠ او ٤٠ طبقة واجعله يستقبل تلك الابراج الضاربة صعداً في الفضاء كأنها شقائق برج بابل تَرَهُ حينئذ يعض باسنانه على سيكاره و يتبسم عن شاربين حليقين و يشمخ بانفه و يدس يديه في جيبي (بنطلونه) و يقول خاطراً الى امام والى وراء . يس يس هذا هو الجميل العظيم المفيد لا جامع حسن ولا نوتردام

ذلك لانه من الصعب على اكثر الاميركيين ان يدركوا اهمية الفنون وجمالها

ان لم تكن مقرونة بمنافع تتخذ لها . فطلب الفن (لذاته) أمر قلما يعرفونه عندهم وانما يطلبون الفنّ لفائدته العملية ومنفعته . سل الطلبة الفرنسويين مثلاً عن جمال فنون آثينا وروما ومذاهب الادب الكتابي والفلسفة القديمة والحديثة بل اذكر لهم مثلاً اسم (Venus de Milo) تَرَهم يندفعون في وصفها وذكر تاريخها اندفاع السيل . اما الطلبة الاميركيون فعقولهم في افق غير هذا الافق . فهم يعرفون اسماء شركات الاحتكار الكبرى وماذا فعلته وتنوي الحكومة فعله فيها وما هي البلدان الصناعية والزراعية في اميركا وكيف يتنازع الحزب الديموقراطي والحزب الجمهوري في التعريفة الجمركية والعملة الفضية ومسائل العمل والعملة والاستعمار والبنوك الخ . وبناءً على ذلك كانت الفنون التي يشتغل بها الاميركيون خادمة لمعائشهم لا مستقلة عنها . فهي تقترن بالتجارة والصناعة لا لترقيتها نفسها (نعني الفنون) بل لترقية التجارة والصناعة

كنا بالامس نقلب كتيباً صغيراً نشره معمل كبير للاحذية في نيويورك غرضه اعلان جودة صناعته وترويج تجارته . فرأينا في هذا الكتيب بين اعلانات المعمل فوائد كثيرة بشأن اميركا واحوالها ملؤها اللذة والفكاهة . ومن جملة ما رأيناه جدولاً كبيراً يتضمن بيان تعداد جميع امم الارض من اكبرها الى اصغرها مقروناً باسماء ملوكها وعواصمها . وفيما نحن نتصفح هذا الجدول وجدنا ان فيه عدد سكان مصر (ستة ملايين) مع ان الاحصاء الاخير الذي جرى في مصر في العام الماضي دلّ على ان عدد سكانها اكثر من ١١ مليوناً . فهذا الكتيب مملوء بالفوائد ولكنه مملوء ايضاً بالاغلاط اذ ليس من غرض ناشره تحقيق مواده بل نشر اخبار بضاعته . فليس يهمه ان تكون الاحصاءات المذكورة فيه احصاءات قديمة قد مرّ عليها ٢٠ سنة ولا وقت عنده لتحقيق ذلك وانما الذي يهمه ان يقرن (احذيته) بالعلم والادب ويدفعها بهما بين ايدي الناس . هذا

مثال لطريقة بعضهم في العلوم والفنون في اميركا

وربما أنحى بعضهم باللائمة على هذه الطريقة وقال انها تحط من كرامة العلم والفنون وتؤدي الى إفسادهما وهذا اعتراض وجيه وقول صحيح · ولكن لهذه الطريقة فائدة كبرى ومن يدري ان العلم والفنون في اميركا لا ترتقي بها في مستقبل الزمان

ومعنى قولنا هذا ان الاميركيين قد ابتدعوا بدعة جديدة بما فعلوه من قرن الفنون والعلم بالتجارة والصناعة · فان الفنون في اوروبا انما توجد في المتاحف والمدارس وتحصر فيها · واما الاميركيون فانهم أخرجوها منها وادخلوها في أعماق حياة الامة فاصبحت جزءًا منها · وسنُظهر في مقالة تالية كيف رقّت التجارة والصناعة الفنون في اميركا وكيف رقت الفنون التجارة والصناعة فيها

مطالب السوريين من السفارة

والجرائد الاميركية في اربعة اقطار اميركا

بعد ان كانت حركة المطالب بين السوريين اصبحت بين الاميركيين
في الاسبوع الذي قُدمت فيه الى عطوفة السفير العثماني «١»

﴿ الجامعة ﴾ قبل نشر مقالة الصديق شبل افندي يسرنا ان نشير الى الحركة التي اثارتها ﴿ المطالب من السفارة ﴾ لدى الاميركيين وجرائدهم بعد ان انتهت مسألتها لدى المهاجرين السوريين · ونغتنم هذه الفرصة لاسداء خالص الشكر الى الجرائد الاميركية الكريمة اللواتي تفضّلن بتلخيصها ونشرها تأييداً للنزالة السورية التي هي من اكثر النزالات فائدة ونشاطاً في البلاد الاميركية ومن اكثرهن عدداً · وتهدين الجامعة

«١» لما كنا قد نشرنا هذه المطالب في صدر الجزء السابق لتبقى محفوظة في المجلة على مر السنين فقد رأينا واجباً ان نردفها بالمقالة التالية التي نُشرت بشأنها في الجريدة

شكراً خاصاً منها اليهن لتفضلهن بذكرها ذكراً خاصاً في هذه المناسبة

فقد كتب الينا الصديق شبل افندي ان بعض اصدقائه في واشنطن وفي بوسطن قد بعثوا اليه بنسخ من الجرائد الاميركية التي لخصت عريضة المطالب واحلّتها منزلة سامية بين اخبارها وقد بعث الينا ببعضها . منها :

واشنطن تيمس * وبوسطن ترنسكريت * وبالتيمور نيوز * وشيكاغونيوز * وانديانا بوليس نيوز * واتلانتا كونستيتيوشن * وتشارلستن نيوز * وانديانا بوليس ستار * وميناپوليس تربيون * وبروكلين ايكل * وبروكلين تيمس : الجملة ١١ جريدة اميركية من أهم جرائدهم وغيرها مما لم ندرِ به لخصت تلك المطالب مادةً مادةً وبعضها خصص بها عموداً في الجريدة مع عنوانات خصوصية بحرف كبير واثنت على السوريين وهمتهم في ما يصلح احوالهم هنا وفي سوريا واثنت على المطالب واعجبت ببعضها اذ وجّهت انظار قرائها اليها بنوع خصوصي .

ولا شك في ان كل من اشترك في تلك المطالب ووافق عليها بارساله امضاءه الى الجامعة يسرّه ان يعلم هذا التأثير العظيم الذي احدثته المطالب السورية لدى الامة الاميركية الكريمة المشهورة بتحمسها للمطالب الحقة الحرة التي تطلبها الشعوب

وهذه مقالة شبل افندي بشأن المطالب بعد تقديمها

٣٠٨٦ سوريّاً
رجاء اخير الى عطوفة السفير

بقلم شبل افندي دموس

الفان ونحو مائة رجل وافقوا على المطالب التي رفعتها الجامعة بالامس لسعادة السفير بالنيابة عن جمهور الموافقين . الفان ومائة رجل سوري اتفقوا على سياسة واحدة وخطة واحدة فكذبوا بفعلهم هذا كل قائل باستحالة اتفاق السوريين . الفان ومائة

رجل رأوا رأي رجل واحد فوافقوا عفو الارادة مختارين لا مضطرين على مطالب عادلة ضرورية • الفان ومائة رجل منتشرون في عرض هذه البلاد وطولها من نيو يورك الى سان فرنسيسكو ومن البحيرة الى الخليج علقوا امضاواتهم في ذيل العريضة غير محمولين على هذا بقوة ذي نفوذ فيهم ولا خوف تهديد ووعيد ولا رغبة في نيل مال موعود موجل او معجل بل بمجرد اتفاق الرأي على المصلحة المشتركة • فبرهنوا بذلك على استقلالهم الشخصي بافكارهم واميالهم وارادتهم وحققوا ظن القائلين بانهم رجال حقيقيون ذوو حقوق يعرفونها و يعرفون كيف يطلبونها بصفة رسمية كما يطلبها الرجال الاحرار

الفان ومائة رأس عائلة يمثلون جيشاً عرمرماً بنسائهم واولادهم لا يقل عن عشرة الاف نسمة حية

ولو كان وراء هذه الحركة مال كاف للقيام بنفقات وكلاء نسيرهم في اطراف البلاد يخطبون ويستحثون الناس لكنا اسمعنا سعادة السفير صوت الامة الحي بنواب كثيرين يقدمون العاصمة حاملين هذه المطالب بنفوسهم رافعيها بايديهم داعميها بخطبهم كلٌ على حسب ما يخطر في قلبه ويجري على لسانه

ونحن نعتقد لدى هذه المظاهرة الكبرى التي دوت لها الولايات المتحدة بان سعادة السفير قد ادرك بنفسه خطارة مركزه العظيم اذ القيت اليه مقاليد شعب هاجر وارتقى الى مصاف الامم الراقية ويحق له ان يفتخر على رصفائه السفراء العثمانيين في وظيفته السامية في واشنطون لانها من هذا الوجه اعظم من اخواتها في أي مدينة كانت من عواصم العالم

رفعنا هذه المطالب ولا قوة لدينا نستطيع بها تنفيذها لاننا شعب آمن في بلاد آمنة • رفعناها ونحن نعلم ان منافعها مشتركة بيننا و بين من تركنا وراءنا من السوريين مواطنينا و بين الدولة العلية • واعتمدنا على اشتراك هذه المنافع ان

يكون المنفذ لها الدولة العلية نفسها

ونحن لا نجهل ان اموراً كهذه لا تنفذ في الوقت العاجل ولا بد لها من ان تُعرض امام الباب العالي ولذلك سوف ننتظر اليوم الذي تترآى به طلائع الاصلاحات المطلوبة بادية كجواب فعلي لمطالب امة آمنة في دار هجرتها مجتهدة مفكّرة عاقلة

فهنا مجال يا سعادة السفير لان يعلم السوريون المهاجرون نيات حكومتهم من جهتهم ونقول لسعادتك ولها هذا القول بكل احترام . فان الجيش العرمرم الذي رفع اليها تلك المطالب عن يد سعادتكم اذا رأى إهمالها وعدم انعام النظر فيها انعاماً يحقق بعضها او كلها او غيرها مما هو افضل منها او اقل منها على الاقل فانه يكون معذوراً اذا اساء الظن واعتبر هذا الاهمال ازدراء به واهانة له وعدم اعتبار لآراء السوريين بل عدم اعتبارهم شيئاً عند الدولة . وحينئذ نرى بأسف ان النتيجة هي بُعد العناصر المعتدلة الباقية عن الاعتدال فتنصرف عن هذه الطريق الى طريق غيرها وندفن هذه الاماني وندفن معها الوطنية القديمة وندعو من لم يخلع العثمانية بعد الى خلعها فيدخل السوريون افواجاً في الوطنية الاميركية لعدم التفات الدولة اليهم الا بمظاهر لا ترضيهم ولا تسكتهم فينعمون بنعم الحرية والمساواة . ومتى تكامل عديدنا نطالب الامة الاميركية بمظاهرات اقوى واعظم من هذه بحقوق الاميركية بموجب نص صريح في قانون الولايات المتحدة الاساسي وننال حقوق الاحرار اينما كنا مستندين الى قوة ليس مثلها في قوات الارض الآن

على اننا سنظل موطدين الأمل بسعادة السفير وحسن نياته التابعة لنيات جلالة السلطان بان جواب هذه المطالب سيكون تنفيذها الفعلي

شبل دموس

تابع المقالة السابقة

جواب السفارة

على عريضة المطالب

نشرت جريدة الجامعة في عددها الصادر في ٢٨ اذار (مارس) صورة الكتاب الذي كتبته الجامعة الى عطوفة السفير يوم تقديم تلك المطالب وجواب عطوفته عليه . وهذا صورة الجواب

السفارة العثمانية

في واشنطن

جناب ....

غب اهداء التحية مع السلام ابدي انني تناولت كتابكم رقيم ٢٤ شباط سنة ١٩٠٨ وجميع ما ذكرتموه صار قرين الاذعان . لا حاجة ان افيدكم ان من أهم وظائفي خدمة العثمانيين الموجودين هنا . وان شاء الله سأجري قصارى جهدي بهذا الخصوص . والله ولي التوفيق (الخ) ..

سفير الدولة العلية العثمانية في واشنطون

محمد علي

ونشرت جريدة الجامعة ايضاً في العدد المذكور آنفاً حديثاً لجناب الكاتب الفاضل نقولا افندي الحداد مع عطوفة السفير في اثناء زيارته واشنطن وردفيه قوله „ اما عن المطالب فقد صرّح عطوفته ايضاً ان بعضها يمكن اجابته وبعضها لا يمكن لانه يخالف شريعة الدولة العلية . اما الذي يمكن اجابته منها فبعضه يجيبه من نفسه بما له من التفويض في اجابته وبعضه كتب الى المرجع الاعلى في الاستانة يلتمس منحه . وهو يود من كل قلبه ان يجاب كل ما يمكن من

المطالب . وقد قال بهذا الصدد حرفياً ,, اسعى الى اجابتها بالامتنان ''

وقد قالت جريدة الجامعة بعد روايتها هذه الاخبار ما نصه :

,, فالجامعة بلسان الموافقين على عريضة المطالب تشكر لعطوفة السفير قبوله عريضتهم ومطالبهم لرفعها الى الاستانة وتفضله بما وعد به من بذل قصارى جهده في شأنها . وهي تعدُّ هذا الالتفات من عطوفته الى مطالب السوريين وحاجاتهم ومخاطبتهم بطريقة رسمية باسم (السفارة) لا باسم (السفير) فقط — اول دليل يلقاه السوريون هنا على سياسة جديدة وحسن استعداد . حقق الله الآمال

عادات واخلاق

اصول التعارف وآداب السلوك

عند الاميركيين

وهي مبادئ تجب على المهاجرين معرفتها لامتزاجهم باهل البلاد الاميركيين وهي مقتبسة من عاداتهم وآدابهم

---

١ — قبل ان تقدم على تعريف شخص الى شخص (أي ايجاد التعارف بينهما) يجب ان تعرف هل يرغب الشخصان في ذلك أم لا

٢ — يجب تقديم الرجل للمرأة اولاً

٣ — وبناءً عليه يجب ان تأخذ رأيها اولاً في هل تريد معرفة ذلك الشخص أم لا

٤ — اذا كان المتعارفان رجلين فيجب ان تبدأ بتقديم اصغرهما سناً ومقاماً الى اكبرهما سناً ومقاماً

٥ — اذا كان المتعارفان رجلين ليس بينهما سابق معرفة اصلاً فيجب ان

يسلم احدهما على الآخر باحناء الرأس فقط وليس بهز اليد

٦ ــ اذا تعرفت الى رجل اميركي في بيت صديقك ثم اجتمعت به مرة ثانية في مكان آخر فيجب ان تعامله معاملة رسمية وليس كمعاملة صديق لصديق

٧ ــ اذا كنت ماراً في طريقك مع صديق ثم مر بك صديق آخر ورام مرافقتكما فمن الخطاء ان تعرفهما احدهما الى الآخر في اثناء الطريق (كذا)

٨ ــ اذا كنت في حفلة او اجتماع منزلي فمن واجبات سيدة البيت ان توجد التعارف بينك وبين سائر الزائرين

٩ ــ اذا وقع تعارف بينك وبين سيدة اميركية في حفلة راقصة او غير راقصة ثم لقيتها او مررت بها في مكان آخر فمن العيب جداً ان تسلم عليها باحناء الرأس او بهز اليد الا اذا بدأت هي بذلك . واذا لم تبدأ هي وكان سلامك قد سبق اليها فليس من الواجب عليها ان ترد سلامك

١٠ ــ اذا شئت ان تعرف صديقاً لك الى صديق آخر مكاتبة فابعث كتابك اليه في البريد ولا تبعث به مع احد . ولكن اذا كان للصديق الاول غرض خصوصي مع صديقك الثاني فيمكنك ان تدفع كتاب التوصية اليه لينقله الى صديقك الثاني وابق الكتاب مفتوحاً اكراماً لصديقك الاول ومراعاة لعواطفه

١١ ــ اذا تمكنت المعرفة بينك وبين صديق اميركي فيمكنك ان تدعوه الى تناول الطعام على مائدتك على شرط ان تدعو معه شخصاً آخر او اكثر من شخص

١٢ يجب ان تكون اوقات الزيارة بين العائلات من الساعة الثانية الى الساعة الرابعة بعد الظهر

١٣ ــ اذا زرت صديقاً لك ولم تجده في بيته فمن الواجب ان تلقي في صندوق رسائله البريدية بطاقة (كارت) عليها اسمك ليعلم بزيارتك

١٤ ـــ اول ما تجتمع بصديق اميركي لك يجب قبل كل سوٴال ان تسأله عن صحة عيلته

١٥ ـــ زيارة التعزية تكون في اثناء ايام الاسبوع وليس في يوم الاحد

١٦ ـــ حين زيارتك بيت صديقك الاميركي يجب ان تضع مظلتك (شمسيتك) في ممشى البيت واما قبعتك فابقها في يدك ولا تضعها في مكان حتى يأتي صاحب البيت ويتناولها منك ويدعوك الى الجلوس

١٧ ـــ اذا كنتَ في قاعة استقبال ونهضتْ احدى السيدات للانصراف فيجب ان تنهض قائماً احتراماً لها (هل هذا مما يقتضي التنبيه عليه عندهم)

١٨ ـــ اذا هممت بالانصراف من منزل ودخل زائر جديد فيجب عليك العودة الى الجلوس والانتظار حيناً ثم تنهض وتستأذن في الانصراف وتنصرف

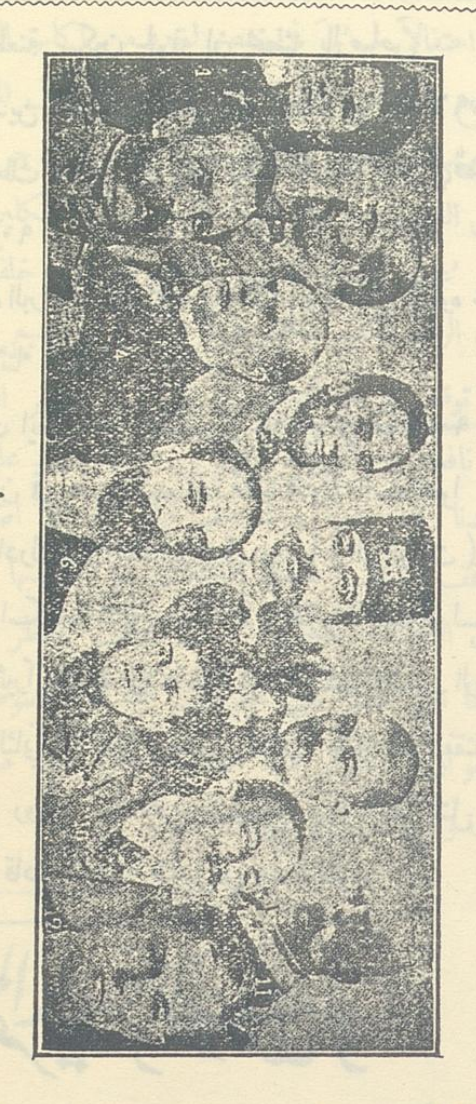
الملوك الذين ُقتلوا

في العصر الحديث

ان مقتل ملك البرتغال وولي عهده اعاد لدى الناس ذكرى الملوك والروٴساء الذين قتلهم الفوضويون وغير الفوضويين في العصر الحديث وقد نشرنا رسومهم في هذا الفصل وهي ١٢ رسماً

(١) الامبراطورة اليصابات زوجة امبراطور النمسا قتلها في سنة ١٨٩٨ في مصيفها في جنيف الفوضوي لوكشيني بطعنة سكين دقيقة وهي تتنزه وقد ُحكم عليه بالحبس مدة الحياة لان شريعة الاعدام ملغاة في سويسره

(٢) القيصر اسكندر الثاني ُقتل في سنة ١٨٨١ بقنبلة وهو سائر لاستعراض الجيش فقطعت القنبلة فخذيه وقاتلوه قوم من النهيليست ُقتلوا معه بانفجار القنبلة



الملوك الذين قُتلوا

١ الامبراطورة اليصابات زوجة امبراطور النمسا ٢ القيصر اسكندر الثاني ٣ الرئيس جرفيلد
٤ الرئيس ماكنلي ٥ الرئيس لنكلن ٦ رئيس الجمهورية الفرنسوية كارنو ٧ الشاه ناصر الدين
شاه العجم ٨ الملكة دراغا زوجة ملك سربيا ٩ الملك اسكندر ملك سربيا ١٠ دوم كارلوس
ملك البرتوغال ١١همبرت الاول ملك ايطاليا ١٢ لويس فيليب دي براكانس

(٣) الرئيس جرفيلد رئيس الولايات المتحدة اطلق عليه الرصاص في سنة ١٨٨١ فوضوي يدعى كويتو فجرحه جرحاً عاش الرئيس بعده ٣ أشهر ثم توفي به

(٤) الرئيس ماكنلي قتله الفوضوي كزولكوز في سنة ١٩٠٣

(٥) الرئيس لنكلن قتله رجل يدعى بوث في سنة ١٨٦٥ رمياً بالرصاص

(٦) الرئيس كارنو رئيس الجمهورية الفرنسوية قتله الفوضوي كازريو في

مدينة ليون في سنة ١٨٩٤ بطعنة سكين لخوفه ان يخطئه بالرصاص

(٧) شاه العجم ناصر الدين قتله بابيّ يدعى مولى رضاه في سنة ١٨٩٦

(٨ و٩) الملك اسكندر ملك سربيا وقرينته الملكة دراغا قُتلا في قصرهما في موءامرة عسكرية في سنة ١٩٠٣

(١٠) دوم كارلوس ملك البرتغال قُتل في هذا العام ولم ينل قاتلوه شهرة المحاكم لانهم قُتلوا لساعتهم في اثناء جنايتهم

(١١) همبرت الاول ملك ايطاليا قتله الفوضوي سزاريو في سنة ١٩٠٠

على ان الفوضويين مخطئون في ظنهم انهم اذا قتلوا الملوك استطاعوا تغيير المبادئ التي يحكمون بها · وقد ادرك ذلك العدميون في روسيا (النهيليست) فقد قال بعض زعمائهم اننا بعد مقتل اسكندر الثاني عدلنا عن قتل القياصرة لسببين الاول ان قتل القيصر يوءثر تأثيراً يضرّنا في داخلية البلاد لدى الشعب الروسي فيلتوي غرضنا وينعكس علينا والثاني ان القتل يقتضي نفقات طائلة فقد انفقنا على قتل اسكندر الثاني عدة ملايين روبل بينما نحن نستطيع بهذا المبلغ قتل عدة حكام في الولايات وبضعة من قادة الجند · فتأمل في هذا الجنون

باب التقريظ والانتقاد

﴿ مصطفى كامل باشا ﴾ نعت جريدة الجامعة المأسوف عليه المرحوم مصطفى كامل باشا صاحب جريدة اللواء الغراء الى العالم الجديد بتلغراف خصوصي ورد عليها حين وفاته والمت بشيءٍ من ترجمته وحياته في فصل خاص (عدد ١٥ شباط) ويظهر من الرسائل الخصوصية التي وردت علينا ومما رأيناه في الصحافة المصرية ان خبر وفاة الفقيد كان له في مصر تأثير ما بعده تأثير وكان الاحتفال

بمأتمه احتفالاً لم يُرَ في مصر لغيره من اكابر الناس · وقد شرعت (الجريدة) في فتح اكتتاب لاقامة تمثال للفقيد فبلغ المال المجموع حتى آخر فبراير (شباط) نحو عشرة آلاف ريال اميركي · وقد بقيت جريدة اللواء العربية بادارة جناب شقيق الفقيد وجريدة اللواء الفرنسوية والانكليزية بادارة جناب احمد بك فريد الذي عُين رئيساً للحزب الوطني في مصر خلفاً المرحوم مصطفى باشا · فنكرر طلب الرحمة للفقيد والتعزية لآله الكرام وجميع اصدقائه

توقف جريدة المناظر — لجريدة المناظر الغراء التي تصدر في البرازيل آثار نافعة بين اخواننا المهاجرين · وقد ورد علينا عدد ١٣ فبراير (شباط) منها فوجدنا فيه خبراً موءلماً وهو ان الرصيفة اضطرت الى الامتناع من الظهور والتوقف لاسباب صحية اوجبت على صاحبها الانقطاع عن التحرير كما قضى بذلك الاطباء · فالجامعة تأسف لتوقف المناظر لما كان بينه وبينها خصوصاً قبل انتقالها من مصر من الصلات الودية الخصوصية ولحرمان قرائه فوائده ونرجو ان لا يطول هذا الانقطاع وان يعود صاحب المناظر الفاضل الى خدمته النافعة وادبه المشهور بين ادباء المهاجرين

باب الاخبار العلمية

﴿ اكتشاف داء جديد ﴾ اكتشف الدكتور ليتول داءً جديداً غير معروف قبله · فاثبت لجمعية الطب في باريز ان الخضر والبقول اذا لم تُغسل جيداً ولم تُنظف كما يجب قبل اكلها ينتقل منها الى فم آكلها جراثيم صغيرة كانت مجهولة فتحدث بثوراً في الحلق وسدوداً في الانف فيتعذر على المريض بها شرب الماء ولا يستطيع الاكل · وقد دعوا هذا الداء الجديد (سبوروتريكون)

وهو غير مميت ولكنه مزعج جداً . وكانوا من قبل يظنون اعراضه من اعراض الزهري او السل و يداوونه بدوائهما . على ان الدواء الذي يشفيه للحال هو محلول البوتاسيوم . فلا تأكل بقولاً وخضراً الا بعد غسلها وتنظيفها جيداً

﴿ اموال المهاجرين ﴾ بلغ عدد الاموال التي دخلت الى الولايات المتحدة مع المهاجرين اليها من جميع الامم في السنة الماضية ٢٥,٥٣٤,٢٢٥ ريالاً . وبما ان عدد المهاجرين كان اكثر من مليون فيكون لكل مهاجر داخل ٢٥ ريالاً

﴿ كلمة عدل للقيصر ﴾ لما عين المستر تولماتشوف حاكماً لاودسا قال له القيصر في خاتمة حديثه معه : اريد ان تعامل جميع الرعية معاملة واحدة بحسب الشرائع الجارية دون تفريق ولا تمييز بين جنسياتهم

﴿ اهل البورصة لا يؤكلون بسهولة ﴾ روت جريدة الورلد ان اهل البورصة في نيو يورك حين علموا بعزم الحكومة الاميركية على وضع نظام جديد لمنع المضاربة جمعوا عدة ملايين من الريالات لاستعمالها في واشنطن اقناعاً لاعضاء مجلسي النواب بمقاومة ذلك المشروع . اما اهل سباق الخيل فقد جمعوا ٨٥٠ الف ريال لمنع مجلسي النواب في البني عاصمة نيو يورك من سن شريعة تمنع المراهنة على سباق الخيل وهو مشروع طلب حاكم نيو يورك تقريره بكل قواه ويعضده الآن بكل نفوذه

﴿ اديسون يشكر المرض ولا يشكوه ﴾ زار منذ حين احد محرري الجرائد المخترع الاميركي اديسون في المستشفى حيث كان يتداوى من مرض عينيه فقال له اديسون انني نظرت الموت عن كثب فقال له المحرر وهل خفت فاجاب لم اخف وانني اشكر المرض الذي يرسلني الى المستشفى من حين الى حين فانني لولاه لما عرفت الراحة اذ أقضي نهاري وليلي مكباً على امتحاناتي في معملي

﴿ الصحة والخمور ﴾ وضع الاستاذ لاندوزي كبير اطباء مدرسة باريز الطبية تقريراً بشأن الخمور والكحول رفعه الى مؤتمر طبي انعقد حديثاً فقال „ ان استعمال الخمر استعمالاً معتدلاً جائز ونافع ولكن الافراط فيه مضر ويجب منعه "

كانت مريم تلقي هذا الكلام كصخر حطه السيل من علٍ وهي قائمة باوداج منتفخة وعينين ثائرتين يلوح فيهما الغضب ويختفي طبقاً لموضوع كلامها · وكان شيشرون جالساً امامها على العشب وعيناه شاخصتان في جهتها · اما يوسف فانه كان قد تحمس لكلام مريم تحمساً شديداً فقام واقفاً وخطا خطوة نحوها كأنه يود ان لا يفوته كلمة منه · وكان من حين الى حين ينتقل بنظره من مريم الى يوسف ومن يوسف الى مريم معجباً بحماسة مريم ومعاني كلامها ومراقباً وقع ذلك الكلام لدى رفيقه شيشرون · وقد رفع رأسه فخاراً بان مبادئه صدمت على شفتي مريم تلك الصدمة مبادئ شيشرون التي صدمته وأعيته فدهش وسرّ معاً · فانه دهش لانه سمع من فم تلك المرأة ذلك الكلام السامي وتلك الحجة القوية · وسرّ لانه رأى ان الظلام الذي احاط بنفسه بعد سماعه مبادئ رفيقه قد انقشع عنها وحلّ النور محله · ولكن دهشته هذه وسروره هذا أفسحا مجالاً في نفسه لعاطفة ثالثة أُخرى · فان القارئ رأى فيما تقدّم ان يوسف مال الى مريم اول ما لقيها تحت الرمانة · فلما سمع منها هنا هذا الكلام ورأى ارتفاع نفسها الى مبادئ الفكر والخير ازداد ميلاً اليها وتعلقاً بها · فكان وهو واقف امامها خافق القلب تائه الفكر مدهوشاً حائراً يشبه صبياً مدهوشاً رأى وهو واقف امام مزبلة ملاكاً يخرج من المزبلة بين الاقذار ويرتفع في جو النقاء والسناء نقياً طاهراً

فأخذ يقول في نفسه وهو يمر يده على جبينه لمسح العرق الذي كان يتصبب منه لثورة نفسه واضطراب باطنه : قالوا ان نوابغ الارض يكونون الهاً عظيماً او شيطاناً رجيماً · على اني أرى هذه المرأة الغريبة الاخلاق قد جمعت الامرين معاً

ولما سكتت مريم لتمسح العرق عن وجهها بينما كان يوسف يفكر ويحلم مدهوشاً كما تقدم تململ شيشرون في مكانه ثم التفت الى مريم وقال :



﴿ مريم المجدلية تتأمل وتحلم ﴾

رسم الرسام المشهور (ناتيه) وهو معروض في متحف اللوفر في باريز

ولم يلذ لي شيء في حياتي قط كرؤيتي اياك يوماً جالسة بجانب الاكمة القريبة من منزلك ويمناك على كتاب مفتوح على ركبتك ويسراك تسند رأسك وعيناك تتيهان في الفضاء تحلمان وتفكران كأنهما تبحثان في اعالي الجو عن شيء مجهول فراراً من شيء مملول «الصفحة ٧٩ السطر ٧»

— هل فرغتِ من كلامك ايتها السيدة . انك اخطأتِ في ظنك انني اقول ما قلتِ . ومعاذ الله ان يكون غرضي ما ذكرتِ في بدء كلامك عن (تجريد الحمامة المفترسة من تعزيتها الكبرى وعذرها الاعظم) . كلا وانما غرضي ان تحتاط الحمامة لنفسها لئلا تُفترَس ... أفهمتِ الآن ايتها السيدة مريم . ليس عمدة كلامي ان يدوس القوي الضعيف واعلمي ايتها السيدة انه اذا وردت هذه العبارة بمعناها ومبناها في اثناء كلامي فما هي الا تهديد نافع تقول به لا من أجل مصلحة القوي بل من أجل مصلحة الضعيف ليتشدد ويتقوى فلا يعتمد الا على نفسه في دفع الاذى عنه . فكأننا نقول له : كن على حذر واشحذ عزيمتك ونبه نشاطك والا فانسحاقك ودوسك أمر محتَّم . هل تأذنين

لي ن اتكلم بحرية كما تكلمتِ . لقد سرّني اشتغالك بكلامي بجدٍ ولا تظني انه يسوءني منك شيء . وهذا الرفيق الذي خبرته في يوم واحد ذو قلب كريم وعقل سليم وهو جدير بثقتك فلا يسوءنك كلامي امامه . فاسمعي ما كنتُ اريد قوله لك منذ زمان وأغتنم الفرصة لقوله لك الآن اذلا اجد فرصة أفضل من هذه انتِ ايتها السيدة مريم امرأة جميلة انيقة . جسمك صحيح قوي . ونفسك جميلة لطيفة لانني أرى في عينيك شعاع جمالها ولطفها ولا عبرة بحدّتهما وشراستهما احياناً . ولم يلذ لي شيءٌ في حياتي قط كرؤيتي اياكِ يوماً جالسة بجانب الاكمة القريبة من منزلك ويمناك على كتاب مفتوح على ركبتك ويسراك تسند رأسك وعيناكِ تتيهان في الفضاء تحلمان وتفكران كأنهما تبحثان في اعالي الجو عن شيءٍ مجهول فراراً من شيء مملول . اي نعم يا مريم ان حلمك وتفكيرك هكذا يجعلني أحلم وافكر ايضاً . فانني اتصورك حين كنتِ في السادسة عشرة من عمرك فتاة ساذجة القلب حيية اذا رشقك رجل بنظرة توردت وجنتاك خجلاً وخفق قلبك وجلاً . انك لم تقصي عليّ الا طرفاً من تاريخ حياتك ولكنني الآن احلم واتصوّر كما قلتُ لك فدعيني اكمل حلمي وتصوري . انني اراك في صباك كما قلتُ فتاة حيية طاهرة القلب تخرجين مع امك العجوز واخواتك الى الحقل لمساعدتهنّ في أعمالهنّ . وكانت امك أشد عناية بك منها بسائر اخواتك لانها كانت ترى فيك شيئاً ممتازاً عنهن وهي بشاشتك وعذوبة حديثك وسلامة قلبك وشدة اندفاع عواطفك حتى انه كان كل ما في قلبك على لسانك وكله كان جميلاً طاهراً . فكانت تقول (ان مريم وردة البيت) فاذا دخلته وكان مظلماً استنار ببشاشتها وورد خدها . ولذلك كانت تأتيكِ وانتِ راقدة بجانب اخواتك في الصباح فتقبلك اولاً ثم تخرج من بيتكم الصغير الى ارض امامه مغروسة ببعض الازهار فتقطف وردة ثم تعود وتغرسها في شعرك وانتِ نائمة

وتقول ـــ (انظروا . ورد على ورد) فكنتِ اول انتباهك من النوم تستنشقين ريحين ريح الورد في شعرك وانفاس امك الحنون التي كانت تستقبلك . ثم توفيت امك وانفرط عقد منزلك اذ تزوجت اخواتك وتزوجتِ انتِ ايضاً . ولكن كان نصيبك هائلاً .... فاصبحتِ وحيدة فريدة في الدنيا ترين الناس يقومون ويقعدون ويروحون الى اعمالهم ويجيئون وانتِ منفردة ساكنة ليس لك احد تعتمدين عليه وتستندين اليه . فماذا تفعلين ؟ وكيف تعيشين ؟ هنا وصلتُ الى (الحمامة المفترَسة) التي استشهدتِ بها في كلامك . فماذا كان ينبغي للحمامة ان تفعله لئلا (تُفترَس) ؟ لقد كان في وجهها طريقان . الاولى (ان تكون قوية) فتتسلّط على (عقلها وقلبها) وتبادر بنشاط النحلة ودأب النملة الى كسب رزقها بيديها للاستغناء عن غيرها اذا لم تجد كفوءاً لها يصونها ويغنيها . ولكسرةُ خبز تؤكل في هذه الحالة من الاستقلال وعزة النفس وشرف الاسم وطيب الاحدوثة بين الناس خيرٌ من جميع ثروات الدنيا وترفها اذا كانت (أي هذه الثروات) غير مقرونة بها . والطريق الثانية الاستسلام الى العواطف والاوهام ووهن العزيمة .. على ان تلك الحمامة لم تقدر على حسن الاختيار بين هذين الطريقين لانها لم تُهيّأ لهذا الاختيار ولم تُعدّ له وهذه عقدة المسألة . هنا تظهر باجلى بيان مبادئي التي سمعتِها وانت متوارية وراء الشجرة وغضبتِ هذا الغضب من أجلها . فمبادئي توجب على الحمامة ان تختار الطريق الاولى اعني ان تكون (قوية) وتحذر وتتنبّه نشاطها وتقوّي ارادتها وتختط خطة تسير عليها دون ان تترك للصدفة سبيلاً للعبث بها . (القوة والارادة والدربة) هذا ما كان ينقص الحمامة . فما كل حمامة تفترسها الافعى مع قوتها وغدرها وانما تفترس الافعى الحمامة التي لا تحتاط لنفسها ولا تحسن الدفاع عنها

فماذا تقول الحمامة يا مريم اذا قلتُ لها هذا القول : ـــ انك أجمل الطيور

الاليفة فلا تتركي الافاعي تدنسك وتسطو عليك .. لقدخلق الله لكِ جنحين تطيرين بهما الى حيث لا تصل الافاعي اليكِ ... واذا احتطتِ لنفسك واعملتِ فكرتك ونشاطك ودربتك واستعملتِ ارادتك فليس لجارح او كاسر في اعالي الجو قوة على الوصول اليكِ . لانك مع ضعفك وشدة ذلك الكاسر قد أُعطيتِ قوةً على التخلص منه على شرط ان تشحذي قوتك وارادتك وتنبهيهما فيك على الدوام . ولكن اذا نمتِ عنهما وتركتهما ينامان واستسلمتِ الى الضعف والوهن والصدفة والاتفاق فعدم وجودك خير من وجودك في هذا الزحام الهائل في الحياة لان في عدم وجودك راحة لك وفي وجودك ضعيفة بين الجوارح والكواسر ألم دائم وعذاب ابدي . هذا ما كنتُ اقوله يامريم واغضبك ذلك الغضب . هذا ما كنتُ اقوله في حمامة السماء واقوله الآن لحمامة الارض ايضاً ... أمن حقك ان تثوري عليَّ تلك الثورة بعد هذا ؟ الا ترينني في كلامي نصير الضعفاء لا نصير الاقوياء . الا تعتقدين ان مبادئي هذه هي الوحي الجديد الذي يحتاج اليه شرقكم الذي أفنته تلك المبادئ القديمة واضعفت فيه كل حماسة للحياة الراقية واصابت روحه بالشلل . لقد كنتُ في هذا صديقك لا عدوك يامريم . فاحكمي بعد ان سمعتِ

قال شيشرون هذا الكلام ثم سكت وشخص في جهة مريم ليرى فعل كلامه فيها . وكانت لوائح الألم تلوح في وجه مريم من حين الى حين في اثناء كلامه فتارة يغور دمها الى قلبها فتبرد اطرافها ويصفر وجهها وطوراً يثور دمها ويفور فيصطبغ وجهها بلون قرمزي ويتوارد الدم الى دماغها تواردا يكاد يخنقها . ذلك ان شيشرون اثار فيها بكلامه هذا عاطفتين هائلتين . الاولى عاطفة الكبرياء الذاتية والكبرياء ام الفضائل كما انها امُّ الرذائل . فانه بثنائه عليها ووصفه جمال جسمها ونفسها وطهارة حياتها السابقة حرك ما كان كامناً

فيها من الاشجان وردّ اليها (نفسها الاولى) التي كانت لها قبل دخولها في وادي الشقاء ... ولكن هذه العاطفة كانت ضعيفة بالنسبة الى العاطفة الثانية التي اثارها فيها كلام شيشرون البارع . فانه لما أخذ يصف تربيتها في صباها ويذكّرها امها وحنوّها عليها وحبها لها وتعلقها بها وتفانيها من أجلها ثار كل ما كان مكنونًا في نفس هذه المرأة المسكينة من العواطف الطيبة والتذكارات العيلية الجميلة كأنّ زوبعة هائلة هبّت في داخلها فنسفته نسفًا . ولذلك لم يفرغ شيشرون من كلامه ويلقي عليها قوله الاخير ,, فاحكمي بعد ان سمعتِ '' حتى ارتخت اعصابها بعد توترها وانحنت قامتها بعد انتصابها وبقيت شاخصة في جهة شيشرون ساكتة جامدة جمود الصنم . وبعد انقضاء عشرين ثانية عليها وهي في هذه الحالة ارتعشت ارتعاشًا شديدًا ورفعت بغتة يديها الى عينيها ثم استخرطت في البكاء كأنه اصابها ألم فجائي

فدهش شيشرون ويوسف لما اصابها ونظر احدهما الى الآخر وقد تحركا كلاهما نحوها . الا ان مريم لم تمهلهما ان يصلا اليها فانتفضت وصاحت وسقطت الى الارض مغمى عليها اذ اصابتها نوبتها العصبية

وبينما كان يوسف وشيشرون يُعنيان بمريم وينبهان حواسها وهما في حزن وأسف لما اصابها كان راعي الغنم في اعلى شرفة الوادي ينادي قائلاً

— يا قديس يوسف . سيعلق بك شياطينها . الحمد لله ان غنمي بعيدة عنها

ثم ان الراعي تناول مزماره ونفخ فيه في وسط ذلك الهدوء انغامًا مطربة . فكان مثالاً لفراغ البال والهناء في الخلاء بينما كانت مريم تحت الشجرة امامه تتشنج وتصيح كمثال لآلام الهيئة الاجتماعية وشقائها واضطراباتها

الفصل الثاني عشر

﴿ يوسف ومريم ﴾

في مساء ذلك اليوم كان الفرسان الرومان الثلاثة منحدرين على جيادهم من البيت الاحمر الى مجدل وهم يتضاحكون ويتطايبون · فقال مقدّمهم

— حقاً ان هؤلاء اليهود غريبو الاخلاق أرأيتم كيف ان تلك اليهودية فضلت علينا ذلك الاحدب الروماني ورفيقه الفتى الحقير· فانها اول ما ابصرتهما تركتني بينما كنتُ اتنزه معها بين الاكام بجانب منزلها ولحقت بهما ·ثم عادت معهما الى منزلها ضعيفة واهية القوى ولزمت فراشها كأنها حملت أحمال الدنيا كلها على عاتقها

فقال رفيقه : ليس الذنب ذنب هذه اليهودية بل ذنبنا لاننا بالينابها وسألناها الضيافة · وقد أحسنتْ في انها طردتنا الآن من منزلها طرد الكلاب فانها علّمتنا ان لا نبالي بعد اليوم بنساء اليهود الثقيلات

فقال الثالث · وهل تظنان ان سنيكا وابنه دخلا حقيقةً ذلك البيت أم هي تقول ذلك على سبيل المزاح

فقال الاول لو لم تره لما استطاعت وصفه لنا · ولكن دعاني من هذا واخبراني اين نطلب هذا الرجل فقد مللنا البحث عنه واخشي ان يكون خوف الوالي في اوروشليم قد تحقق وفتك به متحمسو اليهود

فقال الثالث وما غرض الوالي في طلبه بهذا الالحاح

فقال الثاني ان مقدمنا يعلم هذا الغرض لانه يحمل اليه كتاباً من الوالي

فقال المقدّم أُقسم بجوبيتر انكما ثرثاران فما لنا وللبحث في غرض الوالي·انه عهد الينا ان نطلب الرجل ونحرسه في الطريق وندفع اليه كتابه فماذا يهمنا ما بقي

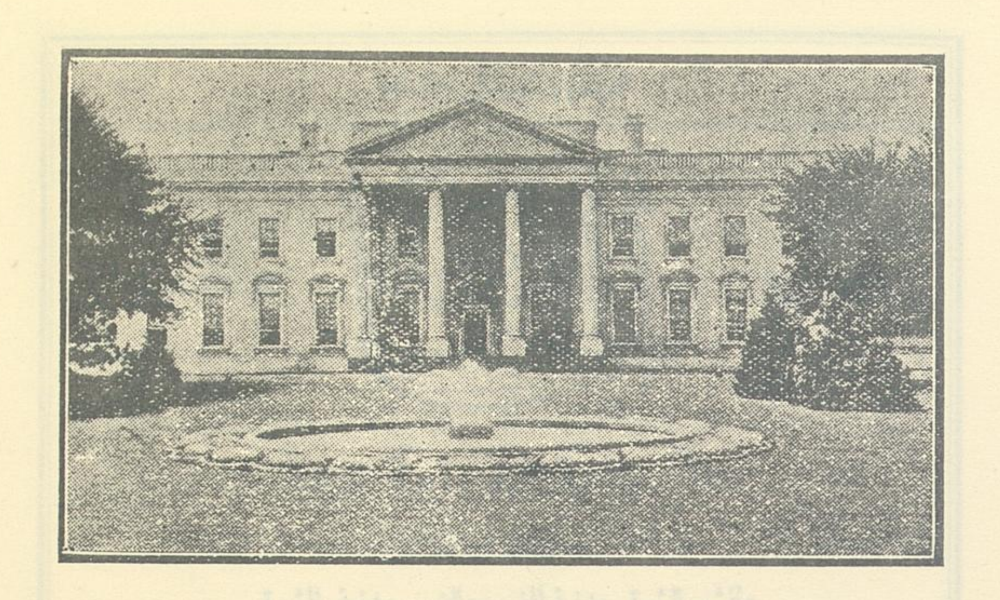
واستمر الثلاثة في انحدارهما نحو مجدل وهم يتحادثون تخفيفاً لمشقة السفر. فما كادوا يبلغون سفح الاكمة ويدخلون في الجادة المؤدية الى مجدل حتى برز شبح كان متوارياً في بستان قريب فتسلّق الجدار ووثب الى الطريق ثم أخذ يصعد الاكمة متوجهاً وجهة بيت مريم

وكان الظلام قد شرع يرخي سدوله وبانت النجوم الاولى في سماء الشرق الصافية والقمر يسبح بينها كأنه سفينة من فضة اثقلتها حمولة من عنبر كما قال الشاعر العربي. وكانت الجداجد قد شرعت في حفلة غنائها الليلي بين الكروم كاجواق موسيقية متفرقة بينها. وكانّ في الهواء عبيراً لنقائه وجفافه وطيب رائحة الازهار البرية المنتشرة فيه. وكان الشبح يسير بين هذه المناظر الشرقية الجميلة في وسط سكون الهزيع الاول من الليل سكوناً نسبياً لان حركة النهار لم تكن قد همدت بعد هموداً تاماً وهو يسرح نظره في ما حوله كمن يتنزه لا كمن يبحث عن شيء ويتنهد تنهداً متصلاً بين دقيقة واخرى تنهداً كان يجد فيه راحة على ما يظهر. ولما انتهى الى اعلى الاكمة وحاذى البيت وقف دقيقة يتلهى بقطف شيء من الازهار وما كان في الحقيقة يتلهّي وانما كان يحاول تسكين روعه قبل وصوله الى البيت لان الاضطراب كان بادياً عليه

وكان الشبح يمدّ يده الى جيبه في اثناء الطريق فيخرج اناء صغيراً ويشرب منه ثم يعيده الى جيبه. ولما امسى بجانب البيت افرغ في فيه كل ما كان في الاناء والقاه بعيداً

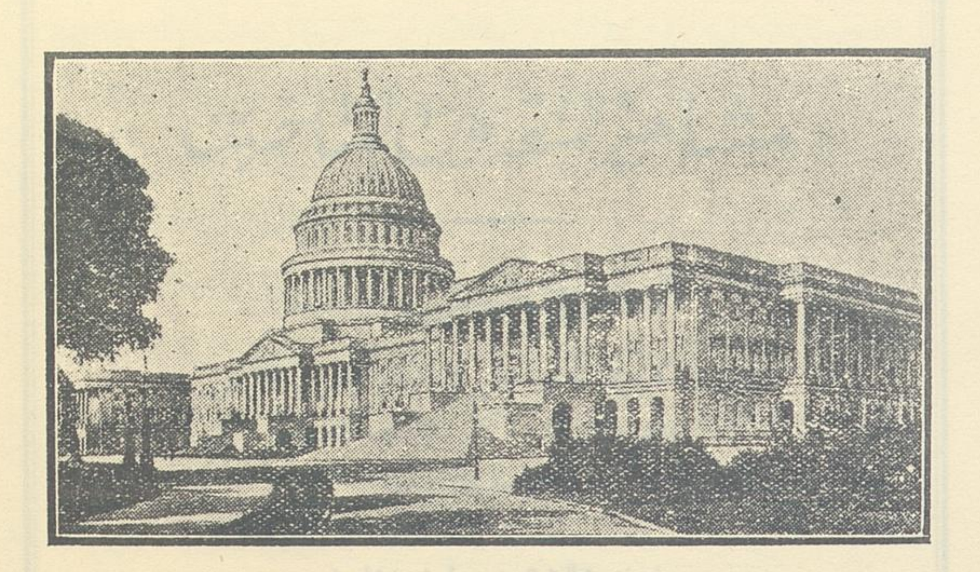
ثم انه دنا من نافذة البيت دون تلمّس ولا بحث لانه كان يعرف الى أين تؤدي على ما يظهر. وكان في النافذة باقة ازهار جميلة موضوعة في اناء ماء فازاحها بيمينه وأطلّ من النافذة

وكانت مريم في ذلك الحين مستلقاة في سريرها تتناوم. فلما احست بحركة اناء الزهر



البيت الابيض

منزل رئيس الجمهورية في واشنطون العاصمة



الكونكرس

دار مجلس الامة في واشنطون

(مجلس النواب — مجلس الشيوخ)